

في طريقه المقفرة، بحسب أعمال الرسل، كان خازن ملكة الحبشة يقرأ بصعوبة فقرة من نبوءة أشعيا، ولسان حاله يجيب فيلبس قائلاً: "كيف لي أن أفهم ما أقرأ، إن لم يرشدني أحد" (أعمال 8:30). ولا يزال صدى هذه الكلمات يتردّد في قلبنا وضميرنا كي نفهم، كي نبشّر، كي نرافق، كي نبقي دوماً مستعدّين لإعطاء الدليل على ما نحن عليه من الرّجاء" (1 بطرس 3:15).

بهذا الاستعداد المؤمن والمتواضع، عمل الخريجون مدّة سنتين تقريباً، على صقل المهارات اللازمة للمرافقة الروحية، من خلال الدّروس والمعارف النظريّة من جهة، وخاصّة من خلال الإختبار والصّلاة والتميّز والعودة إلى عمق الذات والمرافقة في قلب الكنيسة من جهة أخرى.

هي بالطبع مسيرة إصغاء وحرية. مسيرة شخصيّة وفي قلب الكنيسة. في الاصغاء للذات أولاً على ضوء محبة الله الخالقة والخالقة، تمّت معالجة محاور عديدة، منها القراءة الروحيّة والنفسيّة للحياة العاطفيّة، واكتشاف الجروح والشفاءات وإعادة قراءة التاريخ الشخصي، كما مقومات النمو الروحي، وديناميّة النمو الشخصي في وسط الجماعة، بالإضافة الى أسس التمييز وأخذ القرار بحسب مشيئة الله.

أمّا في الاصغاء للآخر فيمكننا أن نذكر الاصغاء الوجداني المتعاطف وخلقية المرفقة وسواها، ممّا يشدّد على احترام حرّية الضمير ومسيرة الفرد الروحيّة الخاصّة.

لا شكّ أن كلّ ذلك مبنيّ على الركيزتين الأساسيتين في إيماننا المسيحي، أي الكتاب المقدّس والتقليد الكنسي. من هنا تجذّرت التنشئة في قراءة الكتاب المقدس ومرافقة الله لشعبه، كما في تقاليد الحياة الروحية مع التركيز بشكل فريد على الديناميّة الاغناطية، ونمطها في التمييز والرياضات الروحية وقراءة الحياة.

ونصل اليوم، لا الى مرحلة القطار بعد الزرع، لأن الزرع لم ينته! ولكن إلى مرحلة استثمار ما زُرع، في خدمة الكنيسة. ففي عالم كثرت فيه عوامل الجذب وقلّت علامات التمييز، كثرت فيه التطوّرات والتقنيات والتحدّيات وقلّت روح التحليل والنقد، الكنيسة مدعوة من جديد لاستعادة دورها النبويّ، في التعليم والتدبير والتقدّيس والمرافقة. وفي هذا الاطار، تتظهّر الحاجة الماسّة الى مرافقين روحيين متمرّسين بالعلم والتدرب والأمانة لروح الانجيل في الكنيسة الجامعة. حضرات السادة الأساقفة، إنهم بتصرّفكم وبين أيديكم في خدمة إخوتهم في الكنيسة.

وإذ أشكر رئيس الجامعة الأب البروفسور سليم دكاش اليسوعي، ومنسّق الدبلوم السيّد وسام عبدو، والأخت ليزا القارح مديرة مركز التنشئة وكلّ الأساتذة والمعنيين والطلاب الكرام، يحلو لي أن أختتم بقول من أقوال الحكمة في سفر يشوع بن سيراخ (37: 10-15)، تجاه من يبحث عن مرشد أو مرافق أو مستشار: " لا تستشّر الجبان في الحرب ولا التاجر في التجارة ولا المشتري في البيع ولا الحاسد في عرفان الجميل ولا الجافي في الرقة ولا الكسلان في إنجاز الشغل... لكن لازم الإنسان النقي ممّن يحفظ الوصايا،... وتضرّع إلى العليّ ليهديك بالحقّ الى الطريق القويم." وها هم معنا بروح التقوى والمحبة.